

# الباب الأول

مآثر عربية

obeikandi.com

رواية تاريخية جرت حوادثها بعد منتصف القرن التاسع عشر عندما جردت السلطة العثمانية الحملات المتكررة لفرض هيمنتها الكاملة على البلدان العربية ١٨٥٧ م.

## الفصل الأول

### الخطيبة

فرحة المذيب فتاة قروية في ربيعها السادس عشر تشمخ بقدها الفارع وجمالها الفتان، تسير في الطريق بزهو وافتخار تتبعها الأنظار كأنها ملاك هبط من السماء، يتهادى على طرقات البشر.

أحبت فرحة خطيبها المزيون عمار الأحمد، حبا يقرب من الجنون كما أحبها هو كذلك، وقد ساقته السلطة التركية إلى الجندية الإجبارية ليخدم في جيش السلطان دون ان تراعي ظروفه كوحيد لوالديه ودون ان تمهله ليزف خطيبته، حبيبة الروح الوحيدة بحياته. وطالما هرب عمار من المعسكر ليلاقي خطيبته في البيت، في الحقل، في الطرقات، تحت ضوء القمر... يتبادلان نظرات المتيمين، يتبادلان أحاديث العشاق... وكم تنهد كل منهما عند الفراق متمنياً أن يبقى ملازماً أحدهما للآخر ولو في أتون الاحتراق... وفي كل مأذونية يهرول عمار مسرعاً إلى خطيبته يشكو حرارة الحرمان وبيئتها لواعج الشوق والحنين حتى ينسى نفسه طوال النهار بدون طعام لولا أنها كانت تجهز له ما لذ وطاب من الطعام والشراب الذي كان يلتهمه دون أن يشعر بهيامه عند اللقاء بفتنتها وجمالها الذي تغنى فيه الكثير من الشعراء وكان الشاعر نعمه العاقل كان يقصدها عندما أنشد وقال:

---

(١) العطفة: فتاة اليهودج: فتاة جميلة تطل من خدر مزركش على جمل مزين تشجع الفرسان في القتال.

- لد فرحة بتشابيب الشروخي      بالعمر ما جاوزت طعشر ربيعا<sup>(١)</sup>
- كأنها اليعفور تندس ما تدوخي      نافراً من طور حواف مريعة<sup>(٢)</sup>
- غصن صندل صنع سمهر حين يلزم      مايطا جيلانها رجل زهوف<sup>(٣)</sup>
- معنبات صباعها من دون عندم      والثنايا برق والماطر ظروف<sup>(٤)</sup>
- أحداقها ورموشها خرطوش دم دم      يا عذاب صبي طراد يحوف<sup>(٥)</sup>

## الفصل الثاني

### حملات الحرب

كانت الدولة العثمانية تحتل البلاد الشامية وبعد خروج إبراهيم باشا المصري منها. أخذت تثير الفتن بين الطوائف لبسوط سلطانها وتوطيد هيمنتها باتباع سياسة فرق تسد..

وقد رفض أبناء الجبل السيطرة العثمانية عليهم وكانوا يستعذبون الموت في سبيل حريتهم واستقلالهم، فرفضوا دفع الضرائب وتسليم أسلحتهم للسلطة كما رفضوا الجندية الإجبارية للدفاع عن تاج السلطان واستقبلوا الوطنيين الأحرار

- 
- (١) لد: أنظر - بتشابيب الشروخي: بريعان الشباب - طعشر ربيعا: بين الحادية عشرة والعشرين.
- (٢) اليعفور: الغزال - تندس: تقفز تدوخ: تصاب بالدوار.
- (٣) الصندل: شجر أغصانه طويلة مستقيمة - سمهر: صانع عصي الرماح - مايطا: ما يعلي - جيلانها: صدرها. الجيلية، الصدرية - زهوف: وضع متخث.
- (٤) معنبات صباعها: رؤوس الأصابع بلون حبات العنب - العندم: صبغة بلون النهدي - والثنايا برق: الأسنان بيضاء تلمع كالبرق - الماطر: الدموع - ظروف: غزيرة كأنها تنصب من الظرف.
- (٥) الأحداق: جمع حدقة وهي الفتحة التي يمر منها الضوء لداخل العين - خرطوش دم دم: طلقات بنديقية يتوهج رصاصها بالظلام باللون الأحمر - الطراد: المطار - يحوفه: يلاحقه.

المنافئين للسلطة وبطشها ، لكل هذا قرر السلطان مهاجمة الجبل وإخضاعه لاسطنبول مهما كلف الثمن..

سار والي دمشق محمد قبرصي بجيش كبير لإخضاع الجبل ، فاجأه الثوار عندما وصل إلى ازرع غرب الجبل بقتال دام عدة ساعات انتهى بهزيمة منكرة للجيش بمعركة حامية عرفت بموقعة "ساري عسكر" ، ثم تكررت الحملات بعد ذلك وتكررت هزائم الجيش وتكرر نفي الحرب لأن السلطان لم يقنع بالهزائم وبقي مصمماً على إخضاع الجبل مهما بلغت التضحيات..!!

بينما عمار مع حبيبته في جلسة هناء دق نفي الحرب نفي التعبئة فترك الحبيبة الغالية وهول ملتحقاً بفرقة إلى الحرب الغاشمة ، الحرب الظالمة ضد أبناء الوطن ضد حبيبة الروح التي ينفطر قلبها وينشف دمها شوقاً وخوفاً على حبيبها حتى يعود إليها..!!

تتكرر المهاجمات وتتكرر المأساة وكم تمنى فرحة أن تكون بجانب حبيبها في بذلته العسكرية عليها ترد عنه الرصاص أو ضربات السيوف والخناجر ليعود إليها سالماً.

إنه فتى الأحلام الوحيد حبيب العمر وأمل الحياة بأسرها..!!  
في صباح هادئ جميل الحبيبان في جلسة سمر ممتعة ، يدق البوق معلناً نفي الحرب فيقفز عمار ليلى النداء ويلتحق بفرقة ، بينما فرحة تتمسك به وهي تصيح:  
لن تذهب ..! لن تذهب..! لا أتركك تفلت من يدي لتذهب إلى الموت..!! مستحيل.. مستحيل..!!

لكن عمار وهو الشجاع المقدام ، يأبى التخاذل ، ولا يرضى أن يقول عنه رفاق السلاح " خاف من الحرب ، تقاعس ، جبان..!" لذلك يحاول الإفلات فأسرعت فرحة تسكر الأبواب ، تخفي المفاتيح وتضغط على حبيبها ليبقى سجينا في الغرفة...

لم يلتحق عمار بفرقة ، إنه متخلف ، إنه سجين الخطيئة يقول أحد زملائه. تطوق الشرطة العسكرية بيت فرحة التي تحاول إخفاء حبيبها بالفرش ، بالشراشف ، بمختلف الأغطية. لكن عمار يقفز عند سماع أول صوت يدوي من

رفاقه ليرد عليهم بصوت مرتفع قائلاً: إنني قادم إليكم، ثم يقفز من النافذة وفرحة تتمسك بشيابه لا تتركه..!! لا تتفصل عنه، فيساقان معاً تحت الحفظ للمثول أمام القائد الذي استشاط غضباً لبادرة الهرب من الجندية التي نفذها عمار اليوم.

وبينما القائد جميل باشا في مكتبة يذرع الأرض ذهاباً وإياباً بخطوات قوية وأنفاس لاهثة، يرغب ويزيد، يتطاير الشرر من عينيه، يهدد، يشتم، يضرب الأرض برجليه كأنه أصيب بالجنون...

دخل عمار إلى المكتب تتمسك به فرحة، الملاك الساحر تشد على ذراعه كأنها سترافقه حتى الموت.

يفاجأ القائد بدخول الفتاة الرقيقة الناعمة إلى مكتبة، فيطرح وجهه بالبشر ثم يطلب الشاي ويجلس إلى جانب الخطيبين بعد أن يصرف الجنود، ويبدأ معهما حديثاً ودياً، يبرر فيه غايته من إرسال الجنود بأنها لم تكن إحضار عمار تحت الحفظ وإنما عدم فتح باب التسرب والهرب من الجندية بجيش السلطان، وقد برهن على صحة قوله بمنح عمار فوراً عشرة أيام مأذونية، يقضيها مع خطيبته دون إزعاج أو ملاحظة.

## الفصل الثالث

### فرحة إلى الهودج<sup>(١)</sup>

طالما اشتكى قادة الفرق من الجيش التركي من هرب جنودهم مشتتين في عدة معارك أمام هجمات أبناء الجبل وصيحاتهم المرعبة، خاصة عندما يحدث القتال بالسلاح الأبيض، لذلك اقترحوا على القائد أن يشد لهم عطفة تشجع المحاربين وتساعدهم على الصمود في ساحة المعركة كما كانت العادة في حروب أكثر القبائل في القرون الوسطى...

مجرد وقوع نظر القائد على فرحة وفتنتها قفزت لذهنه الصورة المناسبة لفتاة العطفة. وقد أطلق سراحها من مكتبة مع خطيبها دون أي ذكر للموضوع، لكنه

(١) الهودج: الدلول. الجمل المهيأ بالزينة والخدر للعروس.

اقتنع بينه وبين نفسه على أنه عثر على الفتاة التي تتوفر فيها جميع المواصفات المطلوبة لهذا الغرض، فتركها تخرج من مكتبة مسرورة مبهتجة تميد بقدها الفارع وجمالها الفتان، وتشق طريقها بين الجنود الذين وقفوا على الجانبين يحيون مرورها بينهم، وهي ترد التحية بأنفة وتغمز وتلمز على الجنود الذين ساقوها قبل قليل مع خطيبها مخفوراً إلى مكتب القائد.

هكذا خرجت من بيت أبيها قبل ساعات مخفورة ذليلة تبكي وتولول، وعادت إليه الآن أميرة منتصرة تمشي الخيلاء وتدوس الأرض بأصابع أقدامها كأنها حققت فوزاً كبيراً لا يقدر بثمن، حتى ولا تعادله كنوز الدنيا لأنه لصالح حبها وقلبها وعواطفها الجياشة الحاملة... بعد هذه الحادثة سطع نجم فرحة في القرية وراحت الأحاديث تتناقل أخبارها:

أنقذت حبيبها، قابلت القائد، القائد الفظ القلب الذي يخشى مقابلته عناتر الرجال، ذاعت شهرتها في القرى المجاورة، يتردد اسمها على كل لسان تدعى إلى المهرجانات والحفلات الرسمية مكانها مع الوالد في المقاعد الأولى إنها تعرف القائد تحل أي مشكلة مع السلطة، حتى والدها قد أصبح ذا شأن يجلس في المقاعد الأولى بجانب شيخ البلد مع الوجهاء والمتنفذين...!! وها هي عائلة المزيد أصبحت ذات شأن عند القائد وحتى عند الوالي في دمشق لا يرد لها طلب.

تجددت المعارك على حدود الجبل وزادت هزائم الجنود أمام ثوار أشاوس يدافعون عن تراب وطنهم، عن عائلاتهم وأبنائهم، عن حريتهم،... ضد غزاة همج من الأجانب الأتراك يريدون إخضاعهم وبسط السلطة والنفوذ الجائر عليهم، ومع الأسف كلما ازدادت شجاعة الثوار وانتصاراتهم على الجيوش التركية الجرارة كلما زاد إصرار السلطان في إسطنبول على إخضاعهم، طمعاً بتجنيد أبنائهم الشجعان هؤلاء الشبان البواسل للدفاع عن تاج السلطان ضد الحركات التحريرية في بلاد الروملي والبلقان.

وقد تصور السلطان: أن بسواعدهم المفتولة وهجماتهم المرعبة يكمن النصر

المؤزر لجيوشه في ساحات القتال في أوروبا...!!!

تلبية لرغبة السلطان في إسطنبول قرر والي دمشق بعد التشاور مع قائد الجيش وقادة الألوية، إعداد حملة كبيرة مجهزة بأحدث الأسلحة والمدافع الثقيلة والخفيفة، على ان يشدوا معها عطفة لتشجيع المحاربين في القتال وتثبيت أقدامهم في المعارك حتى النصر، وبناء على ذلك قام القائد باستدعاء عمار وخطيبته إلى مكتبة ليلفهما أنه بحاجة هذه المرة إلى عمار ليسلمه قيادة سرية، وعندما أصرت فرحة على مرافقة خطيبها لجهة القتال طالما هناك العماريات<sup>(١)</sup> والمشجعات، بادرها القائد قائلاً: ربما يقع اختيارنا عليك لتكوني العطفة المطلوبة فطارت هذه من الفرح، لكنها بنفس الوقت كانت تتوجس جزعاً وخوفاً من الحرب الضروس التي لا تشفق ولا ترحم، فقالت: هذا يتطلب موافقة والدي والعشيرة أيضاً..!!

اليوم الثاني كان والد فرحة وبعض أفراد عشيرته في مكتب القائد جميل باشا الذي بدأ بتوزيع الهدايا الخاصة العينية من الليرات الذهبية، هدية السلطان، هدية الوالي، هدايا قادة الفرق، ثم تبع ذلك الكلام الذي أخذ يتردد على لسان الجميع في الجلسة:

" فرحة هي العطفة، فرحة العطفة المناسبة، الجميع مع هذا المجد العظيم الذي خص به القائد آل المزيد وقد صور للجميع ان هذا الموضوع هام جداً للوالي، وللسلطان وللتاج العثماني في إسطنبول ..!!" لكن لي شرط واحد قال والد فرحة: ولما أنصت الجميع أضاف: " شرطي أن تتخصص أقوى الفرق وأقوى الفرسان لحماية العطفة أثناء القتال" .. لك هذا ... لك هذا بالتأكيد، أجاب القائد جميل بصوت مرتفع، وستكون حماية العطفة مسؤوليتنا الأولى وقبل كل المسؤوليات....

---

(١) العماريات: فتيات جميلات مزينات يرافقن العطفة والفرسان إلى ساحة القتال لتشجيعهم في المبارزة والقتال.

## الفصل الرابع

### المعركة الحاسمة

قسمت الجيوش التركية لسبع فرق. وقد شدوا لها العطفة المطلوبة فألبسوها الثياب الزاهية الجميلة وزينوها بالمصاغ الكثير الوهاج، كما زينوا هودجها: وهو ذلول<sup>(١)</sup> فتي قوائمه طويلة ممشوقة تشبه سواري<sup>(٢)</sup> الأشرعة رقبته طويلة تتلوى كأنها الأفعى تنتهي برأس صغير مكلل بريش النعام والمرايا والزخارف الملونة، على الظهر إيوان أصفر مربع تتدلى عليه الخيوط والحبال الملونة الزاهية التي تحمل الشراشيب<sup>(٣)</sup> والدندشة<sup>(٤)</sup> بمختلف الألوان، وهو يلعب كأنه سفينة نزلت من السماء لتشكل خدر<sup>(٥)</sup> العطفة التي كانت تطل برأسها من بين الستائر ليبدو وجهها كالبدر المنير في ليلة مظلمة. وهنا يصفها الشاعر بقوله:

كاللکوس<sup>(٦)</sup> خدودها في الليل الأظلم والثايبا برق والحاجب سيوف

والجزع في جيدها<sup>(٧)</sup> عسجد<sup>(٨)</sup> تلملم معالم صباعها سمح الكفوف<sup>(٩)</sup>

مشت طوابير العساكر بانتظام، تتقدمها المدفعية، سرايا الدفاع عن الجانبين تزهو بألبستها وبواريدها اللماعة. العطفة تتهادى ببطء خلف الجموع حولها العماريات يطلقن الزغاريد والأغاني الحماسية، حتى اقتربوا من ساحة المعركة فتوزعت

(١) جمل فتي نشيط يزين بالألوان ومختلف الدناديش.

(٢) السواري: الأعمدة الطويلة التي تحمل الأشرعة.

(٣) الشراشيب: كتل من الخيوط الملونة تستعمل للزينة.

(٤) الدندشة: الزينة المفرطة.

(٥) الإيوان: خدر من القماش يشبه الخيمة الصغيرة المكعبة على ظهر الهودج.

(٦) لكوس: جمع لكس: وهو مصباح قوي يستخدم للإنارة.

(٧) جيدها: عنقها.

(٨) العسجد: معدن أبيض لماع كالفضة.

(٩) معالم صباعها: مزينات أصابعها. - سمح الكفوف: أكف مفتوحة دليل الكرم.

بطاريات المدافع على مرابضها المقررة تقذف بقنابلها من فوق الجنود الذين تقدموا بهجوم متناسق لتدك الرجاجيم<sup>(١)</sup> والمتاريس وتحيلها جحيماً محرقاً، لتبعد الثوار عن طريق الجيوش التي زحفت تتقدم بانتشار قتالي نحو الجبل. احتدمت المعركة، الدخان يغطي الجو ليصبح النهار ظلاماً دامساً لولا شهب البارود ولهب الحرائق. رزم<sup>(٢)</sup> المدافع يصم الآذان، أزيز الرصاص صيحات الرجال. تقطعت أنفاس العماريات والفتيات جميعاً، خمدت أصواتهن ورحن يرتجفن من الخوف والرعب ومناظر القتل والدم والصرخ... الجيش يتقدم ولكن ببطء. وأخيراً توقف فبدأت الهجمات المعاكسة تخترق صفوفه ودب الرعب والذعر بين الجنود فأختل نظامهم وتضعضت صفوفهم فراحوا يفرون باتجاهات مختلفة وبدأ الجيش يتقهقر أمام الهجوم الصاعق للثوار بالسلاح الأبيض. أمام الصيحات المرعبة للفرسان والثوار الذين انحدروا من الجبل كالسيل الهادر إلى ساحة المعركة، والقنابل تمر فوق رؤوسهم وهم ملتحمون مع الجنود والضباط المهزومين يطاردونهم في كل اتجاه....

بطلت فعالية المدافع وأسلحة المدى البعيد كلها، وزادت فعالية السيوف والمدى<sup>(٣)</sup> والخناجر والفؤوس، حتى العصي والحجارة في ظهور الجنود الذين ولوا الأدبار لا يلوون على شيء، حتى الفرسان الأشداء المدافعين عن العطفة فروا مشتتين أمام صيحات الثوار المرعبة وفرسانهم المنبطحين على ظهور الجياد يتعقبون تجمعات الجند الصامدة ليشتتوها وتولي الأدبار...

تسابق فرسان الثوار نحو العطفة وحماتها الأشداء ليقطع الشيخ المارد " وهبي جزان" رقبة الهودج ورقبة قائده بضربة سيف واحدة فترمي العطفة بنفسها عليه من الخدر المتهاوي على الأرض كأنها الملاك الطائر يطلب النجاة... دخليكم... دخليكم... أنا عربية... أنا بنت المزيد... سلموا روحي ورفيقاتي...!! تصرخ العطفة وهي تلقي بنفسها على الفارس.

(١) الرجاجيم: أكوام الحجارة.

(٢) رزم المدافع: صوت إطلاق قنابل المدفعية.

(٣) المدى: جمع مدية وهي السكين.

وصل عندئذ أحد قادة الثوار " الحناوي " وصاح بالجميع: النساء لا تمس، العطفة مع كاسبها الأول الشيخ وهبي جزان إلى قنوات ، المعركة مستمرة. هكذا تابع الثوار المعركة ، فتجندل قائد الحملة جميل باشا وعدد من ضباطه وفر الجنود تاركين آلاف القتلى والجرحى تغطي جثثهم ساحة المعركة، وغنم الثوار آلاف البواريد والذخيرة والمدافع مع قتابل المدفعية التي أضرموا النار فوق أكثرها لتتفجر بأرضها بالجملة، وتهتز الأرض تحتها وتترززل، معلنة انتصار الثوار القلائل المدافعين عن الحق والوطن والحرية، على الجيوش الجرارة الباغية، وكان انتصار الحق على الباطل...!! إن الباطل كان زهوقاً..!!

## الفصل الخامس

### العطفة في قنوات (أو السهوة)

قنوات أو كاناتا (KNATA) مدينة عشتار آلهة الخصب والجمال. المدينة الفضية الناصعة بمياهها وثلوجها وعمائم شيوخها..!!

دخلت فرحة قنوات مع الموكب المنتصر وأهازيج الفرسان وزغاريد النساء.. البلدة تستقبل الشهداء كأنهم عرسان خضبوا بحناء الدم مع الأهازيج الحربية:

هذي بلدنا وما نبيعه بالذهب إلا بجمام<sup>(١)</sup> الروس تعالي حجارها

طب الفزيع<sup>(٢)</sup> وطبق الصياح عقب<sup>(٣)</sup> جيوش الأعمادي تجندلت شوورها

وكانت العطفة حزينة بأثثة صوتها خافت عند الكلام بالكاد يسمع مع زفير متسارع لأنفاس حارة ودمعة سخية تكاد لا تتقطع، وقد ظننا أكثر الناس فتاة

(١) جمام: جماجم. - يرى أكثر المؤرخين أن العطفة وصلت إلى السهوه وفيها قابلت الشيخ

الحناوي مع والدتها.

(٢) طب الفزيع: وصل النذير الذي يندب بالحرب.

(٣) طبق الصياح عقب: كثر الصياح والصراخ بعد ذلك.

تركية "تمكيح"<sup>(١)</sup> وجهها بالحمرة ومساحيق التجميل بكثافة على البشرة والعيون حتى كادت تخفي معالم صورتها وسحنتها الأصلية ، وقد فوجئت بكلام الود والألفة بعدما التفت حولها فتيات قنوات بدار الشيخ وهبي يتجاذبن معها أطراف الحديث. كما فوجئت بأنها عربية من بنات الجوار ، وقد وجدت فرحة الفرصة مناسبة لتذيع طريقة خداعها وجرحها مع خطيبها لمرافقة الجند وهي تكره الحرب والقتال خاصة مع أبناء وطنها وعروبتهها ، وكل ما كانت تهدف إليه وهي الولهانة المتيمة ، أن تكون قريبة من حبيب الروح حتى في ساحات القتال.

في اليوم التالي أقامت فتيات الدار حفلة غداء حضرتها أكثرية نساء البلدة كرمناها وهدأن من روعها ، ثم فاجأنا بحضور خطيبها عمار الذي كان مع الأسرى ، فأطلقن سراحه وجئن به يسلم عليها بدار مضيفها<sup>(٢)</sup> ، فطارت فرحة من الفرحة عندما شاهدته سالماً ، وكادت لا تصدق حواسها عما تسمع وترى فظنت نفسها في حلم يدغدغ أمانيتها ليس أكثر ، فاستسلمت لمشيئة القدر وباتت قلقة لم تعرف عيونها النوم.

في الجانب الآخر قلقت والدة العطفة على مصير ابنتها ، خاصة بعدما حملت الأنباء مقتل جميل باشا قائد الحملة وأكثرية ضباطه وإبادة وأسر الكثير من الجنود ، لكن بعض العماريات العائدات من المعركة طمأنها عندما سمعن أحد قادة الثوار " الحناوي" وهو يأمر بقوله: النساء لا تمس بأذى.. العطفة إلى قنوات.

شدت والدة العطفة ركابها على جناح السرعة وكانت في اليوم التالي تدق أبواب المضافة<sup>(٣)</sup> في قنوات ، وكم كانت دهشتها كبيرة عندما شاهدت ابنتها وخطيبها موضع الحفاوة في حفلات التكريم في قنوات كونهم عرباً ، يساقون إلى المعركة بغير إرادتهم ، وقد كانت هي نفسها بعد ذلك موضع حفاوة لأن ابن المزيد

(١) تمكيح: طلي بالمكيح وهو مساحيق التجميل.

(٢) المضيف: المعزب أي صاحب البيت الذي ينزل فيه الضيوف.

(٣) المضافة: قاعة استقبال الضيوف.

كان معروفاً لدى الكثيرين من الأعيان في البلدة، وما كادت ترتاح أعصابها حتى كانت تتشدد بالناس قائلة:

قلتلهم عقنوات نلفي ونبات<sup>(١)</sup> على قهوي وشرابات ونقوليه<sup>(٢)</sup>

حضر الشيخ الحناوي إلى قنوات بعد ذلك، وسأل الأم: كيف وجدت ابنتك

عندنا؟

فأجابته: عرضها مصان وكرامتها مصانة ومصاغها مصان، فأنتم أهل الشرف والكرامة، ومن أخلاقكم العالية: دمع الزلات<sup>(٣)</sup> والحلم عند الظفر<sup>(٤)</sup> والعفة عند المقدرة ومن حقكم علي أن انشر ما شاهدت وما عرفت عنكم دون زيادة أو نقصان على كافة البشر في جميع أنحاء الوطن. فأجاب الحناوي:

من ححك أن تستلمي ابنتك ونحن نريد أن نصونها لتقول لأبيها ما يلي:

تبصرياً أعمى العيون العطفة ما انتش قدها<sup>(٥)</sup>

العطفة يلزمها أحرار يستشهدوا حدها<sup>(٦)</sup>

وممن أمن للأتراك نتل ذقنه بشدها<sup>(٧)</sup>

شدت والدة فرحة الرجال عائدة لبلدها وعشيرتها معرزة مكرمة والدموع تترقرق في عينيها من الفرح بما شاهدته وعرفته في الجبل، ولسلامة ابنتها وخطيبها وصيانة عرضها وكرامتها. وقد واكب ركبها ثلة من فرسان الجبل لحمايتها حتى

(١) نلفي ونبات: نصل ونام الليلة لليوم التالي.

(٢) النقوليه: حلويات تقدم للزوار.

(٣) دمع الزلات: الصفح عن الأخطاء.

(٤) الظفر: النصر.

(٥) تبصر: انتبه - كن متفتح البصيرة متيقظاً.. ما انتش قدها: لا تستطيع تقديم متطلباتها.

(٦) يستشهدوا حدها: يموتون لأجلها.

(٧) نتل ذقنه بشدها: كناية عن الندم، أي: ينتف شعر ذقنه كنتف الريش.

وصلت مقر الأمان بديارها مع ابنتها وخطيبها. وقد استقبلها أهالي بلدتها على مشارف البلد بالأهازيج والأغاني والتهنئات للثوار وأبناء الجبل مما أثار حفيظة الجنود الأتراك فحاولوا اعتقال بعض الهاتفين للثوار لكن موكب الأهالي أجبر الجنود على مغادرة المكان وتحول مهرجان الاستقبال إلى عرس واحتفال كبير بزفاف العروسين عمار وفرحة وبالابتهاج بعمل الثوار ودفاعهم عن الوطن.

وقد يئس الأتراك من تكرار الحملات الفاشلة على الجبل بعد معركة قراصة المذكورة، فدعى والي دمشق الثوار للمصالحة وأنعم على بعضهم بالمناصب والهدايا وأنهوا حالة الحرب التي جرت على الجميع الخراب والدمار لينعم الكل بعد ذلك بفترة من الراحة والاستقرار والسلام وقد كان الصلح سيد الأحكام...!!!

\* \* \* \* \*

## عرس فهيدي

رواية تاريخية واقعية جرت حوادثها بعد منتصف القرن التاسع عشر الميلادي حوالي ١٨٧٦م عندما كانت السلطة العثمانية تجدد الحملات المتكررة لفرض سيطرتها على البلدان العربية.

### الفصل الأول

#### الخطيفة

أحمد الجوفي شاب وسيم مغامر هجر أهله وعشيرته في صحراء الجوف القاحلة، وجاء يعيش ويعمل مع خاله وأبناء خاله في درعا حيث الاعتدال في الجو والمياه الغزيرة.

نهر اليرموك وبحيرة مزيريب والطبيعة الخضراء الموشاة بأزهار الجولان الخصبة وحقول حوران الفسيحة والتجارة المربحة والنشطة في درعا ممر القوافل التجارية بين موانئ البحر الأبيض المتوسط ودمشق الفيحاء وحلب الشهباء من جهة وبين الأردن والجزيرة العربية والخليج العربي والعراق من جهة أخرى. وما أسرع الثراء في مثل هذا الموقع خاصة لشباب نشيط مثل أحمد يعمل بالتجارة ويزرع عشرات الدونمات في أراضٍ خصبة غنية.

وقد لفت الأنظار بقامته الطويلة وقده الفارع، إجمالاً شخصيته مرموقة قوية تنضح بالشباب والنشاط والثروة الوافرة!! ولا تنقصه إلا عشيرة ترعاه وتحميه وتشد أزره عند اللزوم لأن عشيرته مع الأسف بعيدة في الجوف وهو هنا فرد وحيد " مسمار أقطم"<sup>(١)</sup> " بين عشائر الزعبي والحريري والفهد والمقداد وأبو رومي الضخمة الكبيرة....

تهافتت بنات العشائر والشيوخ الجميلات على هذا الشاب الوسيم النشط الذي يلفت النظر بقده وجماله وحتى سلوكه ومعاملاته المثالية الراقية. لكن الزعماء

(١) المسمار الأقطم: كناية عن الشخص المقيم بمفرده.

والعشائر لا يناسبون إلا الأعيان والعشائر المعروفة حيث العصر هو عصر سيادة الزعماء والشيوخ والإقطاع، وعندما رفضت عشيرة الفهد أقوى العشائر في المنطقة أن تزوجه ابنة شيخ العشيرة الحبيبة فهيدي، اضطر لخطفها ودخل معها دار حكمدار " قائممقام" بصر الحرير التركي، آملاً بحل المشكلة على يده وزواج ميمون بعد المصالحة مع عشيرة الفهد بجهود حكمدار بصر الحرير وسلطته القوية.

وقد كان الزواج على طريقة الخطيفة شائعاً في تلك الأيام حتى ان بعض الفتيات المعتدات بأنفسهن كن لا يقبلن الزواج إلا خطيفة لذلك نرى خلود الشعلان تقول لابن عمها النائب في مجلس العشائر بدمشق قصيدة منها:

خلي حبك مثل ذبك للسيكارة<sup>(١)</sup> لا تولع بهوى كل أجنبية  
والما يأخذ حبتو بكز وشطاره كويه ياللي تشربوا عالجوع ميه<sup>(٢)</sup>

كان الشاب أحمد شهماً عالي الأخلاق لم يرض بالدخلة على مخطوفته إلا بعد حل المشكلة مع أهلها والزواج على سنة الله ورسوله بزفة بهيجة وأهازيج واحتفالات يتناقل وقائعها جميع الناس وتدخل التاريخ من بابه الواسع باسم عرس فهيدي. وفعلاً دخل عرس فهيدي التاريخ لكن ليس كما تمنى له أحمد أن يكون، إنما كما شاءت الأقدار ولعبت صروف الدهر.

## الفصل الثاني

### الدخيل

حكمدار بصر الحرير يستحسن المخطوفة فهيدي ويتزوجها، ويطرد أحمد هائماً على وجهه، فيتحول زواج فهيدي من خطيفة إلى خطيفة الخطيفة.

(١) خلي حبك: اجعل حبك - ذب السيكارة: مصها بهدوء متقطع.

(٢) الكز: الطعن بالرمح. - الشطاره: المهارة. - كويه ياللي تشربوا ميا: كناية عن الضعفاء المقصرين عن الوصول لحقوقهم.

احتار أحمد!! ماذا يفعل؟؟ إلى أين يتجه؟؟ وحيد، مطرود، لا مسعف ولا معين!! وليس له أي ركن في حوران يعتمد عليه لتحصيل حقوقه!! وفجأة تذكر الجبل...! الجبل في جواره... الجبل قريب ملجأ لكل المطاردين، وملاد لجميع المظلومين، الجبل.. الجبل.. كان قد سمع الكثير عن جبل حوران الشامخ إلى الشرق وسمع الحكايات الكثيرة عن حمايته للمظلومين، وإغاثته للأحرار المطاردين من أي طائفة أو عشيرة وطالما ترددت على مسامعه أغاني وأهازيج كانت شائعة في حوران تصب في ذلك المنحى مثل:

جبل حوران يا معذي الدخيلين      للحر والمهوف أنت المنارة  
فيك الكرامة والعدل فيك تامين      واللي يريد العز ينحرتعاره<sup>(١)</sup>

" تعاره " أولى قرى الجبل من جهة حوران تبعد عن بصر الحرير حوالي ٨ كم شرقاً. تعاره!! إنها قرية قريبة على مرمى البصر من بصر الحرير، القرية الأولى من قرى الجبل الذي أخذ يكبر ويتضخم في خيال أحمد، وبقدر ما شاهد نفسه صغيراً عاجزاً أمام الحدث الذي حصل له في بصر الحرير بقدر ما بدا له الجبل كبيراً شامخاً عملاقاً في خياله.

إلى تعاره دخل أحمد دار الشيخ سلمان مستجيراً..!! مضافة كبيرة واسعة، أرضها مستطيلة مبلطة بقطع الحجارة البازلتية، على شكل مستطيلات مرصوفة بانتظام، على المحيط مقاعد حجرية متصلة كأنها قطعة واحدة تمتد محاذية للجدران، كراسي ملتصقة بصف واحد له نفس الزوايا " الطواطي"، شبابيك كبيرة مفتوحة للهواء الطلق. وفي الزاوية إلى يمين الباب معاميل القهوة " الدلة الكبيرة، أباريق الطبخ الغلاية" كلها فوق منقل نحاسي لماع - النجر "جرن القهوة" فيه مضرب مبرج عليه نقش جميل محفور كأنه الصولجان<sup>(٢)</sup>.

(١) تعاره: قرية من قرى الجبل على جوار اللجاء.

(٢) الصولجان: عصا الملك.

سلم أحمد وجلس في الصدر صامتاً لا ينبس ببنت شفه..! يبدو عليه الهم الثقيل والحزن واليأس، الشيخ سلمان يرحب ولا يسأل لأن ليس له الحق أن يسأل..!! يدخل الرجال بالتتالي، كل منهم يسلم ويجلس صامتاً يترقب، الشيخ يصب القهوة بنفسه بعد ذلك ماء الشرب، يعقبه مباشرة ما تيسر من الطعام لعل الضيف جائع، طبق القش في وسط المضافة عليه صحون اللبن، السمن، البيض المقلي وغيرها خبز الملوّح الرقيق الواسع على محيط الطبق حول الصحون!!

أفلق يا ضيف على الميسور<sup>(١)</sup>، ترى ما هو غداك، لقمة سريعة علك تكون جائعاً، واجبك يتبع..!!

يقول الشيخ سلمان وهو متجه نحو الضيف، ثم يتجه نحو المسابير<sup>(٢)</sup> قائلاً: هيا.. تفضلوا شاركوا الضيف: يتحنح أحمد. فيعرف الجميع أن عنده كلام سيقوله قبل الأكل. فينصت الجميع مركزين نظرهم على الضيف الذي تلملم قليلاً، واعتدل في جلسته على الطواطي ليقول:

الشيخ سلمان!! أيها الغانمين..!! ترى جئتكم مستجيراً..! إن حكمدار بصر الحرير الذي جئته قبل أسبوعين دخيلاً مع مخطوفتي فهيدي الفهد أملاً أن يحل مشكلتنا ويؤمن لنا المصالحة مع أهلها، طمع بجمال فتاتي وأغراه ضعفي ووحدتي، فسطا على الفتاة ليطردي شر طرده..!! وأنا داخل على الله وعليكم، لتحصيل حقي من هذا الظالم الذي خالف كل المبادئ والأعراف الاجتماعية والإنسانية وسلبني محبوبة عمري التي جازفت بخطفها بدمي وحياتي حتى وصلت بيته..!! وأنا داخل.. داخل.. داخل.. عليكم، على حريمكم، على أولادكم، غير قادر على الأكل والشرب ولا حتى على النوم..!! كانت الدموع تترقرق في عينيه وصوته يكاد يختق.. حتى وصل لهذا المقطع الأخير..!!

أفلق.. أفلق يا ولد، أفلق.. ونحن معك بكل ما نستطيع قال الشيخ سلمان!! فانفجرت أسارير أحمد عندما تطمأن على المساعدة. بعدما أيقن أن هناك من

(١) أفلق على الميسور: تفضل على ما تيسر من الزاد.

(٢) الأشخاص من أهالي البلد.

يشاطره الهم ويساعده على الحلول فتقدم يأكل ببطء وعاد قلبه يخفق بالحب والأمل.

## الفصل الثالث

### الكمين الفاشل

احتار الحكمدار بأمره، ماذا يفعل ليعبد أحمد عن تعاره أو ليعبد عشائر الجبل عن أحمد. عشائر الجبل المعروفة بصولتها الشديدة لإحقاق الحق وإغاثة المظلوم وقد تذكر ما قال الشاعر:

قيادة الظالم على كل كيده      نطاحة للشر عند المعاسير

لكن أحمد وصل تعاره!! استجار عند الشيخ سلمان.. عشيرته كبيرة تسيطر على المنطقة المجاورة لحوران. أخوه شبلي شيخ قرية الدويرة. معروف أيضاً بشجاعته وكرمه، حتى البدو وجميع الرعاة يخلصون بحياته. وقد زاد قلق الحكمدار عندما أصبحت حكاية فهيدي وأحمد على كل لسان ودخلت في أغاني الأعراس وأهازيج الاحتفالات مثل:

|                                |                      |
|--------------------------------|----------------------|
| عاهواره الهواره <sup>(١)</sup> | أحمد شرقع تعاره      |
| أحمد صار بدار النصر            | ينادي فهيدي صبح وعصر |
| يقلها لعمر لك قصر              | وفوق القصر طياره     |
| فهيدي في بصر الحرير            | خطفها حكمدار كبير    |
| شرب الغطا وشرب البير           | وقلع أحمدع تعاره     |

(١) الهواره: فرقة حربية شديدة البأس تشبه فرقة النجدة. شكلها إبراهيم باشا المصري وزودها بأحدث الأسلحة ليستخدمها لإنقاذ فرق جيشه المحاصرة وقد سحقت على يد الثوار باللجاء سنة ١٨٣٨م.

وأخيراً اقتنع الحكمدار بأنه لا بد من العمل والحركة بسرعة قبل فوات الأوان..!!

امرأتان من بصر الحرير تدخلان دار الشيخ سلمان في تعاره، تطلبان مقابلة أحمد على انفراد..!! أحمد الذي يسأل عن فهيدي بتلهف وشغف العاشقين المتيمين. فهيدي متضايقة جداً أجابته تكاد تنفجر حزناً لفراقكم. وقد أبرزت إحداهن أيقونه ذهبية كان أحمد قد أهداها لمحبوته فهيدي، ليصدق ما تقولان له وأضاف الثانية:

فهيدي تريد الهرب. تريد الهروب معكم، ستنتظركم عند البركة الجنوبية شرق بصر الساعة الثانية بعد منتصف الليل، الليلة القادمة حيث يكون الحكمدار مستغرقاً في نوم عميق يمثل هذا الوقت... الإشارة شرارة ضوئية من عود ثقاب أو قداحة.

غداً..! غداً..! الليلة القادمة.

هلل أحمد للخبر لكن بحذر شديد، لأنه يعرف غدر الحكمدار الماكر. مع ذلك قرر الذهاب في الموعد المحدد للقاء حبيبة القلب وعشيقة روحه فهيدي ولو على جثته. وقد حذره الشيخ سلمان من مكيدة مدبرة، لكنه بعد أن لمس الإصرار الشديد عند أحمد، زوده بثلاثة من رجاله الشجعان المجريين لمساعدته وحمايته عند اللزوم..!!

انطلقت الشرارة على بعد قليل من المكان المحدد وقبل الموعد المضروب بربع ساعة تقريباً. فهجمت الكمائن من عدة جهات لتطوق المكان، لكن أحمد ورفاقه، تمكنوا من التسلل والهرب شرقاً تحت جناح الظلام، يطاردهم عدد كبير من رجال الحكمدار فرساناً ومشاة، يحثون الخطى للقبض على ضالتهن، وعند الحشر قرب تعاره ارتد نعمان ابن عم الشيخ سلمان، وأطلق النار من طبنجته<sup>(١)</sup> على الأشباح المطاردة فأصاب خردقها وجه عصمت الترك أخ الحكمدار فأطفأ عينيه وجرح وجهه، ليعود محمولاً إلى بصر الحرير على أكتاف الرجال المطاردين يئن من العمى

(١) الطبنجه: سلاح فردي بشكل سبطانة قصيرة تحشى بالبارود والخردق.

والألم ويندد بأخيه الحكمدار الذي دفعه لهذه الغزوة الخاسرة التي أفقدته البصيرة والبصر.

## الفصل الرابع

### المصادمات

توصل الحكمدار بتفكيره إلى ان الهجوم خير من الدفاع لذلك قرر مهاجمة ربع الشيخ سلمان أينما وجدوا ، فأنذرهم بعدم الاقتراب من أراضي حوران وراح يطالبهم بثأر أخيه عصمت. إطلاق النار عمداً من سلمان مقابله دية رجل " دم زلي" وما كاد يعلم أن الشيخ شبلي أخ الشيخ سلمان عند رعاته شرق بصر الحرير حتى حاصر مخيم البدو بجنوده الذين كانوا يطلقون النار من كل جانب. فقتلوا أربعة من الرعاة ورجال الشيخ شبلي المدافعين واستمر إطلاق النار بين الفريقين عدة ساعات حتى وصلت النجيدات من تعاره والدويرة على صوت البارود وفكت الحصار عن المخيم طاردين جنود الحكمدار حتى دخلوا إلى بصر الحرير وتكبدوا ثلاثين قتيلاً غير الجرحى... وعاد رجال شبلي وسلمان إلى الدويرة و تعاره يرددون أهازيج النصر التي تغنى حتى الآن خاصة في نجران وسميع:

ما طول فهيدي عندكم      دفانكم ما يـستريح

عادتنا شرب السدما      مفزاعنا يسبق الريح<sup>(١)</sup>

ثلاثون قتيلاً...!! مجزرة كبيرة.. تدمير - تخريب - جرائم خطيرة.

الوالي التركي بدمشق ينتظر يتربص - السلطان العثماني في إسطنبول ينتظر أي سائحة أي فرصة مناسبة للزحف على الجبل وتطويقه وإخضاعه لسلطة الدولة العثمانية - هذا الحصن المنيع العاصي على الدولة ، رفض أهاليه دفع الضرائب الباهظة للسلطان ، رفض أهاليه الجندية الإجبارية في الجيش التركي وسحبهم مجندين لبلاد البلقان ، بلاد الروملي "رومانيا ويوغوسلافيا حالياً" للقضاء على

(١) المفزاع: الراكض للنجدة.

الحركات التحريرية هناك والدفاع عن تاج السلطان تاج الظلم والطغيان في الإمبراطورية العثمانية. وطالما طمع السلطان بتجنيد فصائل وفدائيين من هؤلاء الشجعان أبناء الجبل المعروفين بشدة بأسهم في القتال، وكم هرب الأعداء من معاركهم لمجرد سماع أهازيجهم وصيحاتهم المرعبة وكم حققوا من انتصارات باهرة على جموع كبيرة من الأعداء مهما كان عددهم قليلاً.. وقد قال عنهم بعض المؤرخين ما يلي:

واحد منهم لوحده مقطوع خبره - اثنان عصابة - ثلاثة ثورة. لكل هذا قال السلطان سنجهاز جيشاً بالأسلحة الحديثة والمدافع. سنبسط سيطرة الدولة على الجبل، لنسوق هؤلاء الشبان للجنديّة كي يحققوا لنا النصر في جميع حروبنا ومعاركنا أينما وقعت.

## الفصل الخامس

### المعارك الكبرى

بدأ والي دمشق التركي بالتحضير وإذاعة المبررات للزحف والسيطرة على الجبل تنفيذاً لرغبة السلطان. وقد بدأت عشائر الجبل بالاتصالات والاجتماعات والتخطيط للدفاع عن الوطن والحرية والكرامة.

بعد شهور من التحضير للجيش التركي الجرار في بصر الحرير وازرع وما جاورها من سهل حوران، زحفت الطوابير نحو الجبل بأسلحتها الحديثة، تمهد لها المدفعية طريق السلامة بقصف متواصل للأهداف والرجاجيم والمتاريس المضادة في طريق العسكر المتجه نحو الشرق وقد اضطر الثوار مبدئياً للتراجع أمام ضغط المدفعية والكثرة الهائلة التي تزحف لأهدافها المرسومة كالسيل العارم. وكانت العائلات قد رحلت بعيداً مع الأولاد لأعماق اللجاة<sup>(١)</sup> وأعالي الجبل لإبعادهم عن المعارك الطاحنة والجيوش الباغية الظالمة التي تتقدم لسحقهم وتدميرهم.

---

(١) اللجاة: منطقة وعرية شمال غرب الجبل.

احتل الجيش تعاره بلد الشيخ سلمان وهي خاوية من السكان وتقدم شرقاً حتى اقترب من نبع قراصه وبدلت المدفعية مرابضها للتوضع مقابل تعاره وقراصه.. وفي اليوم التالي كانت المعركة حامية الوطيس حول نبع قراصه المحاذي لوعرة اللجاة، الثوار يهاجمون الجيش فرادي وجماعات. النساء بجانب الرجال تتخيهن تثير حماسهم..

تأججت المعركة فامتشق الثوار السيوف والخناجر والفؤوس وكافة أنواع السلاح الأبيض وشنوا هجوماً صاعقاً مع أهازيجهم الحماسية وصيحاتهم المرعبة، فذب الذعر والخوف في قلوب الجنود الذين تضععت صفوفهم وولوا الأدبار هاربين يطلبون النجاة بأنفسهم وكان المشهد الهائل المؤثر: خيول غائرة ورؤوس طائرة وأشلاء متناثرة، فاضطر الجيش للتراجع بعد أن أصيب بخسائر فادحة، وقويت عزائم الثوار فتعقبوه حتى تحول تراجعهم إلى هزيمة نكراء أعادته إلى ما بعد تعاره ثم بعد بصر الحرير وكان من الطبيعي أن يسرع فرسان الثوار إلى المدافع التي أهلكتهم بقنابلها المدمرة. فالتقى الفارسان أبو عساف و الحناوي عند مدفع كبير يلقيه الطبعي<sup>(١)</sup> القنبلة تلو الأخرى وكان السدنة الآخرون يصرخون مهللين عند كل طلقة فاستهدف الحناوي فوهة سبطانة المدفع يسدها بعمامته ليعطل عمله، بينما قفز أبو عساف بحصانه فوق سبطانة المدفع " فسمي القمبيزي"<sup>(٢)</sup> ليصل إلى الطبعي فيعاجله بضربة سيف قوية جعلت رأسه يتدحرج بعيداً على الأرض وجسمه يترنح خلف المدفع ليسيل دمه كالخروف المذبوح.

حنا للسيف بالدم نروي حده والمدافع بالعمائم نسده.

هكذا سجل الفارسان مآثرة الشجاعة الخارقة التي تناقلها الناس جيلاً بعد جيل وعاد الثوار منتصرين يرددون من أهازيجهم مثل هذا القول:

حنا للسيف بالدم نروي حده والمدافع بالعمائم نسده.

(١) الطبعي: المدفعي الذي يلقي القنابل.

(٢) القمبيزي: الذي يقفز.

غربت شمس ذلك اليوم على هزيمة نكراء مني بها الجيش الجرار، وقد تجاوزت فلوله المشتتة بصر الحرير غرباً. أما أحمد فقد هجم مع صفوف الثوار لداخل بصر الحرير إلى بيت الحكمدار، يفتش في الساحات في الغرف، خلف الأبواب لعله يلتقي خطيفته المحبوبة...! يناديها بأعلى الصوت كالمجنون، ولكن.. لا وجود لمن ينادي..! الحكمدار وجميع أهالي البلدة رجالاً ونساءً وأطفالاً.. هربوا باتجاه ازرع لم يبق في البلدة كبير أو صغير..

عاد أحمد بخفي حنين يندب حظه العاثر. فقد اختفت فهيدي، وربما لاقت مصرعها أو ربما ساهمت مع الثوار بضرب الحكمدار وجماعته من يدي ٩٩؟ لا رجل ولا امرأة في البلد ليستطلع أخبارها.. إنها المأساة الدائمة التي تقطع نياط القلب حزناً والمأ..!

وأخيراً هدأ روعه قليلاً على أمل اللقاء القريب بعد الهدوء والفصل بين المتحاربين..! هكذا عاد يعزي النفس بسراب الخيال وتصورات التفكير لعل في الفكرة ذكرى..!!

## الفصل السادس

### الخاتمة

طلعت شمس اليوم التالي على أرض المعركة المغطاة بجثث القتلى وبقايا الأسلحة والمدافع المعطلة، ومازال الدخان يتصاعد من جوانبها، مساحات واسعة على مد النظر تغطيها الجثث والعربات المحطمة، والدمار والخراب والموت في كل جهة..!! يتجول أحمد مذعوراً بين القتلى وبين الخراب والتدمير هائماً على وجهه يبحث عن حبيبة العمر في كل مكان!! ولسان حاله يردد: فهيدي لم تقتل.. فهيدي لن تهون ولم تمت..!! إنها ما زالت مدلله مرفهة..!! لكنه اكتشف أخيراً أنها انتقلت من ساحة المعركة المدمرة إلى قصور الأمراء والسلطين... " قصور يلدرز" إلى ردهات وأروقة ساحل البوسفور والدردينيل الزاهية، نظراً لجمالها وأهميتها السياسية. فقد دخلت التاريخ من بابه الواسع لتترك أحمد هائماً متيماً يائساً يغمد السيف بصدوره

ليسقط منتحراً، شهيد الحب والغرام...! بين جثث الجنود والعمال والفلاحين، شهداء  
السياسة الجائرة والحكام الطغاة والمتنفذين السفلة..!  
وهكذا كان عرس فهيدي بدلاً من الاحتفالات والمباهج والأفراح، حروباً  
طاحنة وقتلاً وانتحاراً وتدميراً لعل فيه أزيز الرصاص ورزم المدافع وأهازيج المحاربين  
وخلده الشعراء والأدباء بقصائد الحرب وحكايات البطولة والشجاعة الخارقة...

obeikandi.com

## سلطان بن الرشيد في الجبل

عام ١٩٠٤ م استجار سلطان بن الرشيد أحد أمراء حایل بدار الشيخ واكد زهر الدين "شيخ قرية الصورة في جبل العرب" هرباً من بطش الوالي العثماني بدمشق، الذي أرسل مجموعة من العساكر مؤلفة من فرقتين صواري "٦٠ خيلاً" لإلقاء القبض على الأمير سلطان بن الرشيد ونقله إلى دمشق. ولدى وصول العساكر إلى قرية الصورة قاموا بتطويق القرية ودخل القائد مع بعض أعوانه مضافة واكد زهر الدين وقال له: ضيفك هذا مطلوب من قبل الوالي بدمشق حياً أو ميتاً، والقرية مطوقة إذا فكر بالهرب. فأجابه الشيخ واكد: لا نريد أي شيء وهذا المطلوب أمامكم وستأخذونه معكم بعد الغداء مباشرة.

كانت إجابة واكد زهر الدين عبارة عن حيلة لتوفر له الوقت اللازم لاستعداد فرسان الجبل من حوله لإنقاذ الأمير الذي استجار بهم من مطاردة الأتراك وظلمهم، لذلك أرسل هذه القصيدة إلى فرسان القرى المجاورة يطلب منهم الحضور فوراً وهي بعنوان المفزاع:

### المفزاع

- |                              |  |
|------------------------------|--|
| قم يا رسل وانقل عجول الأخبار | للابة اللي يزينوا كل ملهوف <sup>(١)</sup>    |
| الضيغمي توو بحمانا استجار    | هاها النشاما بلغوا عيال معروف <sup>(٢)</sup> |
| متعقبينه فرقتين صواري        | بضباطهم وجنودهم زي ما تشوف <sup>(٣)</sup>    |

(١) اللابه: مجموعة المقربين.. يزينوا: ينجدوا.

(٢) الضيغمي: إشارة لابن الرشيد.. توو: بالكاد الآن.. هاها: بسرعة.

(٣) صواري: خياله.. زي ما تشوف: كما ترى.

- بيغوا نقايض ضيفنا بالبزاري وحننا الدخيل نقايضه خيل وسيوف<sup>(١)</sup>
- واليا حضر بالسوق بايع وشاري نرني العشا من اللي من الطير معيوف<sup>(٢)</sup>
- هاها النشاما سلاحكم والمهاري دون الدخيل المال والعمر متلوف
- حمر البيارق جردوها جهاري وما احنا بحال الترك لو جمعها ألوف<sup>(٣)</sup>
- الصقر ما يخشى رفوف الحباري واليا خوى يدعي بها الريش منتوف<sup>(٤)</sup>
- حننا ان سرينا مبعدين المساري واليا نزلنا ننزل بديرة الخوف
- علم الوالي علماً ما به إنكاري من يزين سيوف الجبل يبعد الخوف<sup>(٥)</sup>
- والله يا لوما أحمر الدم جاري يا غير يوصل ضيفنا ديرة الخوف
- وما قدر الله على طول جاري المال يذهب والضنا بعد مخلوف<sup>(٦)</sup>
- مار الكرامة ماش دونه عذاري كاس الردى ولا يلحق الضيم بضيوف<sup>(٧)</sup>

((سوريا - جبل العرب، الصورة الكبيرة سنة ١٩٠٤ واكد زهر الدين من الوثائق المحفوظة عند العقيد زيد النجم))

(١) نقايض: تبادل.. البزاري: المساومة.

(٢) البايع والشاري: فرسان المعركة.. من الطير معيوف: إشارة للحم القتلى.

(٣) جهاري: جهاراً.

(٤) خوى: انقض.

(٥) يزين: يعامل. هنا ملجأ إلى.

(٦) جاري: أي ما يريد الله يحصل.. الضنا: الأبناء.

(٧) مار الكرامة: موقف الشرف.

وما كادت تصل قصيدة المضاع إلى فرسان القرى المجاورة حتى تجمعوا فوراً وهجموا دفعة واحدة باتجاه قرية الصورة المطوقة، وطوقوا عناصر الجيش العثماني وجردوهم من سلاحهم وخيولهم وأمروهم بالعودة لدمشق ليخبروا الوالي العثماني بما جرى بعد ذلك.

يروى المجاهد نايف عجاج نصر في مذكراته المخطوطة عن ابن الرشيد عندما لجأ إلى الصورة وفي بيت واكد زهر الدين ما يلي:

" بعدما تم تطويق الصورة من قبل فرقتين من الجنود الأتراك قال واكد لضيفه الذي بدأ يرتعد: أنا أعرفك من أنت، وإذا كنت سلطان بن الرشيد حقاً فلا تقف عندما يدخل عليك القائد التركي. وفعلاً دخل القائد التركي وسلم على ابن الرشيد وهو جالس في مكانه لم يقف ولم يتحزحج" وبعد ذلك تقدم الشيخ واكد من ضيفه وانحنى عنده قائلاً:

" أبشريا ابن الرشيد.. سلمت وخاب طالبك" ثم ارتجل هذه القصيدة المعروفة بقصيدة النخوة أو قصيدة " كل الجبل نفاك صرح ومظاهير"<sup>(١)</sup>

### النخوة أو (المظاهير)

|                               |   |
|-------------------------------|---|
| عينيك يا سلطان يا ابن الرشيدي | جوك النشاما فوق حمر النواظير <sup>(٢)</sup> |
| جوك وتناخوا من قريب وبعيدي    | والكل منهم شرع السيف ومغير                  |
| انظر بعينيك للرمك والجريدي    | واسمع زغاريد البنات المباكير <sup>(٣)</sup> |

(١) صرح ومظاهير: مشاة وفرسان.

(٢) حمر النواظير: الخيول.

(٣) الرمك والجريدي: الفرسان والمشاة.. المباكير: البكارى.

- بسيوف تحطم كل طاغي وعنيد  
وعيال عم للوازم حواضير<sup>(١)</sup>
- أفلح على دسم القرى والثريد  
وسكن الروع ولا تهوجس من الضير<sup>(٢)</sup>
- وابشر بيمن ما عليه بمزيدي  
كل الجبل يضاك صرح ومظاهير<sup>(٣)</sup>
- دخيلنا بالجيد عقد فريدي  
وما احنا بحال الترك لوهم طوابير<sup>(٤)</sup>
- متجود منا بحبل الوريدي  
نرفاه مثل العش ما يرفاه الطير<sup>(٥)</sup>
- دخيلنا ما ينشرى بالمجيدي  
يا غير من دم النشاما معاير
- وأن كان ما يدره عبد الحميدي  
كزلوا علومي يا رسل بالتحارير<sup>(٦)</sup>
- حربينا يناط لوهو بعيدي  
ناتيه فوق معسكرات المسامير<sup>(٧)</sup>
- قل للذي كز النذر والوعيدي  
ما احنا لكم يا أتراك يتم قواصير<sup>(٨)</sup>
- عند اللقا نسقي المعادي الصديد  
وأضحى النقا بمصلهمات المشاطير<sup>(٩)</sup>

(١) للوازم حواضير: مهينون للضرورة.

(٢) أفلح: تفضل.. القرى والثريد: القرى يعني الطعام والثريد: فته خبز بمرق البندورة واللحم..

الضير: الظلم.

(٣) اليمين: الأمان.

(٤) الطوابير: الجيوش الجرارة.

(٥) يرفى: يصون

(٦) كزلوا: أرسل له.

(٧) يناط: يناط.. معسكرات مسامير: الخيول المحذية.

(٨) كز النذر: أرسل الإنذارات.. الوعيد: التهديد.. يتم القواصير: أيتام قاصرون.

(٩) الصديد: القبح.. مصلهمات المشاطير: نصل السيوف.

- وأيا الجسارة بعد رأي سديد ما نعيّل نحنا ولا نعتدي على الغير<sup>(١)</sup>
- ولا صار ما نحقل على ما نريدي بروس الهضاب نشب ناره سواعير<sup>(٢)</sup>
- قيادة للضدع كل كيدي نطاحه للشر عند المعاسير
- هذي عوايدنا قديم وجديد زوداً على عجل القرى للخطاطير<sup>(٣)</sup>
- يالله يا محصي أنفاس العبيد عنا تكفر كل خطل وتقصير<sup>(٤)</sup>

### يضيف نايف عجاج نصر بمذكراته المخطوطة العبارة التالية:

(بعد انسحاب الجنود الأتراك من الصورة قام فرسان ومشاة بني معروف بعرض أمام ابن الرشيد يمرون أمامه بالأغاني والأهازيج والنخوات، ولما التفت إليه واكد زهر الدين فلاحظ أنه يرد التحية للعراضات وهو يبكي فسأله: لماذا تبكي وقد انسحب الجنود وأصبحت أنت في مأمن؟ فأجاب ابن الرشيد قائلاً: أنا لا أبكي على نفسي، ولكني أبكي على المستقبل الذي من المستحيل أن ينتج مثل هذا الشباب ومثل هذه النخوة الملهبة والكرامة والوطنية الصادقة).

بعد أيام من انسحاب الأتراك من الصورة اجتمع زعماء الجبل وقرروا أن تكون إقامة الأمير سلطان بن الرشيد في قرية "متان" الواقعة في أقصى الجنوب الشرقي لجبل العرب كي لا تتمكن القوات العثمانية من الوصول إليه خاصة وأن قرية "متان" هي عرين أبو علي مصطفى الأطرش المشهور بلقب "أبو وجه أخضر" حيث انتصر في كل معركة قادها نظراً لشدة بأسه في القتال ونبل سجاياه.

رحب أهالي متان بالأمير سلطان أحسن ترحيب وعلى رأسهم مصطفى الأطرش الذي باع لابن الرشيد نصف أملاكه بحجة بيع رسمية وأخذ ثمنها مجيدة واحدة

(١) الجسارة: الجراة.. نعيّل: نجور.

(٢) نحقل: نحصل.. نشب: نشعل.

(٣) الخطاطير: الضيوف.

(٤) خطل: خطأ.

لكي يشعر الأمير سلطان أنه في ملكه وليس لأحد فضل عليه ، وبقي في متان ثلاثة أشهر عاد بعدها إلى حائل معزراً مكرماً. وبعد عودته بعث هذه القصيدة إلى أهالي الجبل يشكرهم فيها وقد سماها " سيوف الجبل".

### " سيوف الجبل "

- |                             |   |
|-----------------------------|---|
| قم يا علي ولم سلايل وضيجان  | ريد من الذنرات عجل جفيلة <sup>(١)</sup>       |
| الياسو هجن ريل بليات دخان   | خطات ريم شاف بالدوزيله <sup>(٢)</sup>         |
| دني الركاب ومدمن قصر برزان  | يموم ضلع عالنويف طويلة <sup>(٣)</sup>         |
| ضلع تشامخ مع مشاريق حوران   | هو منوة المضيوم عز النزيله <sup>(٤)</sup>     |
| عم السلام وخص لي صرية متان  | وأبو علي حمال درك الدبيلة <sup>(٥)</sup>      |
| وسيوف واكد من بيارق وفرسان  | نعمين ريع معذنين الدخيله <sup>(٦)</sup>       |
| أنا أشهد أن ساسكم ساس قحطان | وأنا أشهد أنكم من ذواد القبيلة <sup>(٧)</sup> |

---

(١) ولم: هياً.. وضيجان: الحصان أو الذئول الأبيض.. ريد: لون رمادي.. عجل: سريع.. جفيلة: تتخوف.

(٢) سوهجن: مشوا باتزان.. الريل: القطارات ، ريل وأي سكة القطار الإنكليزية.. الدو: القفز. زيله: زواله.

(٣) دني: هياً.. قصر برزان: قصر حائل: - يموم: يم نحو.. الضلع: الطرف البارز أو الجبل.

(٤) المضيوم: المظلوم، المتألم.

(٥) أبو علي: الأمير مصطفى. درك الدبيلة: أشد المصاعب.

(٦) معذنين: منقذين.

(٧) ذواد القبيلة: وجوه العشيرة.

|                                 |   |
|---------------------------------|---|
| وما للوازم بعدكم كإين كـان      | ولا للكرامة كل صرح ظليله <sup>(١)</sup>     |
| يوم أن علينا حوضبت الأربع أركان | واتقطعت وذم العرى من مشيله <sup>(٢)</sup>   |
| جوناً سرايا الكيد من آل عثمان   | وبعيونهم تقرا الغدر والدغيلة <sup>(٣)</sup> |
| حاطوا بنا ما يحوط خمسك بفنجان   | وبات الفرج عسراً على كل حيله                |
| نحرت عاني لآبة من هل الشآن      | بيض العمائم كاسبين النضيلة <sup>(٤)</sup>   |
| عاداتهم حمي المغاتير وضعان      | يا لئن قبت كل قبة شليلة <sup>(٥)</sup>      |
| نطاحة الكايد على كل ميحان       | حمل الترك ما من سواهم يشيله <sup>(٦)</sup>  |
| تطابقوا عندي على الموت عقبان    | ولا هم بهاجس من كثير وقليله <sup>(٧)</sup>  |
| يا زينهم يوم أن تناخوا المردان  | وبيديهم تلمع رهاف النصيلة <sup>(٨)</sup>    |
| لما لفوا والجو عجاً ودخان       | يا شوفهم يبري الكبود العليلة                |
| راحت على حمر الطرايش شردان      | واقضوا يجرون الخزي والفشيلة <sup>(٩)</sup>  |

(١) اللوازم: الضرورات.

(٢) حوضت: أنسدت، طرقت.. وذم العرى: أربطتها.

(٣) الدغيلة: الخيانة.

(٤) عاني: قاصد.. النضيلة: الشرف.

(٥) المغاتير: المواشي.. الضعن: الركب.. قبت شليلة: أشارت بثوبها تستغيث.

(٦) الكايد: الظالم.. الميحان: الضعيف.

(٧) الهاجس: الخوف.

(٨) المردان: الشباب بدون شعر بوجوههم.. رهاف النصيلة: السيوف.

(٩) تردان: مشردون.

فرجت كريباً مالي الصدر بأحزان  
عدي غديت برأس رعله طويله<sup>(١)</sup>

لا القوفاد ولا نفع بعهد رنان  
يا وسع جودك يا منسي المخيلة

هم حقلتي نقالة السيف وسنان  
والميربيهم بالسنين المحيلة<sup>(٢)</sup>

تسعين ليله بين مقعد وفنجان  
دسم القرى يقلط على كل ليله<sup>(٣)</sup>

ينطح ثرى الجوزاء خشم أم حوران  
ولا قلت إلا للتجارب حصيلة<sup>(٤)</sup>

غنوا بها ياللي مع الدوركان  
ما قال أخو نوره كلام هبيله

(حاييل سنة ١٩٢٤ سلطان بن الرشيد)

((أخرج هذه القصائد ودبلجها شاعر الجبل والبادية أبو سليم حمد المصفي))

---

(١) رعله: مرتفع بارز.

(٢) حقلتي: أملي.

(٣) يقلط: يتقدم.

(٤) خشم أم حوران: كناية عن الجبل.

## من معارك الثورة السورية الكبرى سنة ١٩٢٥

### الكفر \*\*\* المزرعة

تعتبر الثورة السورية الكبرى التي تفجرت سنة ١٩٢٥ من أهم العوامل التي أدت لطرد الاستعمار الفرنسي وتحقيق الجلاء فيما بعد. لأنها تميزت بشمولها كافة المناطق في سوريا ولبنان وبمعاركها الضارية المتميزة عن كافة المعارك العربية بتحقيق النصر المبين الساحق للأعداء وقد قال الشاعر خير الدين الزركلي بمعركة المزرعة:

لو كان في ذي قار من شرف لنا فنحن اليوم في ذي قار

أما الشهبندر فيقول بمعركة الكفر ما يلي: كان لهذه الملحمة شأن خطير في تاريخ النهضة السورية:

أولاً: لأنها جعلت الثورة أمراً مبرماً لا رجوع عنه.  
ثانياً: لأنها دلت على أن الحق الصريح ولو نقصته العدة والعدد قادر في كثير من الأحيان على مقاومة القوى العاتية ولو أيدتها الآلات الضخمة والجيوش الجرارة.

وقد خلد الكتاب والشعراء هذه المعارك بكثير من المقالات والقصائد خاصة القصائد الشعبية التي تغنى بالاحتفالات والمهرجانات وتثير الحماس كأهازيج حربية.

### قصائد لمعركة الكفر

وقد خلد الكتاب والشعراء في المقالات والقصائد هذه المعركة، منها قصيدة الفن التي يغنيها خمسة أو ستة أشخاص في صف واحد يدورون حول نقطة محورية. الشخص الأول هو القصاد يغني منفرداً ويردد البقية اللازمة وهي المقطع الأول  
مثل:

من كبار النجديات  
بالعجل إليك تيات  
كنوع الحرب ناوي  
يزهّب ويطيح حملات  
قروا لا تنكرونا  
سبعة من القواد ومات  
تهدر معها الدبابات  
مدافع والرشاشات  
بالكفر وليناها<sup>(٣)</sup>  
ومدافع ثقاليات  
يهدد بذبذبة الفرسان  
هو وعسكر وما بات  
مصطفى ينطح طابور  
جاهم من كل الجهات

يا راكب سوهجاً فات<sup>(١)</sup>  
قوطر<sup>(٢)</sup> وديلي كتابي  
قلو للفرنساوي  
مش بعقب المساوي  
حملاتو وما بيا هونا  
بالكفر جريتونا  
مشوا علينا هالقوات  
وياالسماء الطيارات  
أول حملة جيناها  
بواريدك سبناها  
روح يتغطرس نورمان  
بربع ساعة بخبر كان  
اسماعيل بيك وشهاب صقور  
كفو<sup>(٤)</sup> نصار البربور

(١) السوهج: المطية السريعة - حصان أو ذلول.

(٢) قوطر: اذهب.

(٣) وليناها: استولينا عليها.

(٤) كفو: فيه الكفاية.

ومن القصائد الجيدة التي قيلت في معركة الكفر قصيدة شاعر الثورة صالح  
عمار: "عرمان سالت عالکفر..."

وقد وصف الشاعر صالح عمار هذه المعارك بقصيدته المشهورة التي تعتبر من  
أهم الأغاني التي ردها الفرسان: "أغاني الخيل" ٢١- تموز - ١٩٢٥:

### وصف ملحمة الكفر

|                                     |                                   |
|-------------------------------------|-----------------------------------|
| البارحة جاننا خـبر                  | ربك فتـل دولابها                  |
| عرمان سالت عالکفر                   | ذبح العراضـي <sup>(١)</sup> دابها |
| وسرية <sup>(٢)</sup> ملح توطا الخطر | حس المـصوت <sup>(٣)</sup> جابهـا  |
| فرسان لوعجّه عكر <sup>(٤)</sup>     | جمع العدا ما تهابها               |
| الحملة غدت مثل الشجر                | لما غوي حطابها                    |
| ما ظل منها ولا نـفر                 | وتشالخواها <sup>(٥)</sup> ذيابها  |
| المقرن القبلي انتـصر                | ضرية خبطها <sup>(٦)</sup> وصابها  |
| موريل <sup>(٧)</sup> بالقلعة انحصر  | سکر حصون أبوابها                  |

(١) الثورة السورية الوطنية ص ٣٢ الشهبندر

(٢) السرية: الجماعة.

(٣) المصوت: نذير الخطر.

(٤) عجّه عكر: أثارت الغبار.

(٥) تشالخواها: قطعوها.

(٦) خبطها: رماها.

(٧) موريل: حاكم الجبل الفرنسي.

|   |                                      |
|---|--------------------------------------|
| جـرد علينـا من البحر                                  | عـساكراً وطوابهـا <sup>(١)</sup>     |
| سـلطان عالـصايح أمر                                   | صـاح وجـذبهـا وجابهـا                |
| وتقـابلوا عند العـصر                                  | كثـر العـطب <sup>(٢)</sup> بـجنابهـا |
| بـرق ورعد هل المـطر                                   | دم العـدا سـحابهـا                   |
| يا ذبـحة شـرقي بـصر                                   | تـاه القـام بـحـسابهـا               |
| وسـيوف من دم الحـمر                                   | ترعـف لـحد نـصابهـا <sup>(٣)</sup>   |
| ولينـا <sup>(٤)</sup> المـدافع والزخـر <sup>(٥)</sup> | ومـدرعات جابهـا                      |
| قوـلون لـي ما حـضر                                    | حنـا كـفينا غـيا بهـا                |
| سـلطان حـريب الـوزر                                   | نـار الحـرب شـبابهـا <sup>(٦)</sup>  |
| لينـا المـراجـل عن صـغر <sup>(٧)</sup>                | ولـيوث <sup>(٨)</sup> تحـمي غـابهـا  |
| مـرحوم من زار القـبر                                  | لـحقوقنـا طـلابهـا                   |
| يا مـصطفى أنت القـمر                                  | يا حـيف زرت ترابهـا                  |

(١) طوابها: مدافعها.

(٢) العطب: الإصابات.

(٣) نصاب السيف: مقبضه.

(٤) ولينا: استولينا على.

(٥) الزخر: الذخائر.

(٦) شبابها: مولعها.

(٧) لينا: لنا.

(٨) ليوث: أسود.

## صالح عمار أيضاً في جوفية

|                                   |                                    |
|-----------------------------------|------------------------------------|
| يا خالق علم الوكاد                | وانت صب سوق المزداد <sup>(١)</sup> |
| وأسعرت نار الحرايب                | ثارت بكل البيوادي                  |
| عاضدوا سلطان الأطرش               | وانتخوا عيال النوادي               |
| واعتلوا من فوق ضمير               | مثل غزلان الحمادي                  |
| والبيارق حميرتومي                 | تحتها علق الحداد                   |
| يوم عالعين لفيينا                 | وبالكفر صار الميعاد                |
| مرقعين العبي <sup>(٢)</sup> صالوا | كارهم <sup>(٣)</sup> ذبح الأعادي   |
| استبسلاو بربع ساعة                | روحوا الحملة سمادي <sup>(٤)</sup>  |

(١) سوق المزداد: سوق الحرب.

(٢) مرقعين العبي: عامة المقاتلين.

(٣) كارهم: عاداتهم.

(٤) روحوا الحملة سمادي: أي أبادوها.

obeikandi.com

## بعض القصائد الشعبية لعركة المزرعة

إن القصائد الشعبية التي قيلت بعد هذه المعركة كثيرة وكثيرة وكلها تقريباً من النوع الذي يغني على الرباب أو غناء خيل ( أغاني الفرسان) أو أهازيج حربية ( الجوفيات) أو قصائد فن.. وكلها تردد في المهرجانات والحفلات والأعراس. وكان الشاعر صالح عمار من أكثر الشعراء الذين ترددت قصائدهم في الموضوع علماً بأن قصائد نجم العباس كانت بليغة وغزيرة أيضاً: وهذه نماذج من تلك القصائد:

( صالح عمار في قصيدة: يا الله يا رب القدار

### قصيدة فن

|                                  |                                 |
|----------------------------------|---------------------------------|
| يا خالق موج البحار               | يا الله يا رب القدار            |
| يا ربي تعز الشوار                | تخمد نار الأعادي                |
| ع فرنسا خذون الفوز               | يا ربي تعز الدروز               |
| وأحرقنا الدبابه بنار             | مدافع ومتورة لوز <sup>(١)</sup> |
| والحمالة وليناها <sup>(٢)</sup>  | الدبابه وأحرقناها               |
| مثل الشمال وغمار <sup>(٣)</sup>  | والعسكر خليناها                 |
| لنا النشاما <sup>(٤)</sup> غاروا | مثل الشمال صاروا                |

(١) متر البيوز: سلاح يرمي الرصاص رشاً.

(٢) وليناها: استولينا عليها.

(٣) الشمال وغمار: القتلى فرادى ومجموعات على الأرض.

(٤) النشاما: الأبطال المغايرين.

|                      |                                 |
|----------------------|---------------------------------|
| واليتنانية احتاروا   | من ضرب السيف البتار             |
| من ضرب بني معروف     | ما ينحاهم درب الخوف             |
| يا وقعة تل الخروف    | تشبه لوقعة ذي قار               |
| يا وقعة تل الحديد    | تسمع للموزر هويد <sup>(١)</sup> |
| كسبنا متر اليوز جديد | فرنساوي شغل الشطار              |
| وأختم قصيدي الغالي   | بحمد الرب العالي                |
| واللي بيصبر للتالي   | بيكسب من قصيد عمار              |

### جوفية

|                   |                     |                   |
|-------------------|---------------------|-------------------|
| قمت ابتدي بالخطاب | عالحرب قاي بناها    | قمت ابتدي بالخطاب |
| بين حقوق الحراب   | واللي علينا أداها   | بين حقوق الحراب   |
| بالكفر من أول باب | والحملة جاها بلاها  | بالكفر من أول باب |
| بارودها والطواب   | بالعون علينا هداها  | بارودها والطواب   |
| عالمزرعة يا شباب  | منهوي منكم نساها    | عالمزرعة يا شباب  |
| وفرنسا صارت خراب  | بسلاحنا حطمانها     | وفرنسا صارت خراب  |
| اثنا عشر بالسحاب  | ولا كاتب منهم حكاها | اثنا عشر بالسحاب  |

(١) هويد: دوي - هدير.

سوريا أم العروبة سلطان بسيف حماها سوريا أم العروبة  
نختمها برب الأرباب هالمعتلي بسماها نختمها برب الأرباب  
ويفكنا من العذاب والعدو يقصر مداها ويفكنا من العذاب

من ديوان صالح عمار: الديوان الشعبي بأسماء الشهداء المطبوع سنة ١٩٦١م:

### جوفية

#### أرجوزة حماسية سريعة

يا الله ويللي حاجز موج البحر يا معتلي لنك دعانا تسمع  
تجعل سعدنا عالياً فوق البشر قيديو منا يشبه شبيب التبع  
لصار حنا نجوم وسلطان القمر خمس طعش<sup>(١)</sup> نيسان ويوم يطلع  
غربي السجن عالزرعة شرقي بصر الدم الفرنسي بالمواطي منقع  
أهل نجران تفازعوا عند العصر كسبوا الذخاير والكلل والمدفع  
مشروينا يوم اللقا الدم الأحمر عدونا كاس الصبر يتجرع  
يوم اللقا منفخت طبول الوزر وسيوفنا بروس الأعادي قطع  
كم فارس منا على الخصم انحدر مثل الصواعق مع بروق تشلع  
وقلوبنا يوم اللقا مثل الصخر صوبينا رد الوصايا وما وعي  
ميشو<sup>(٢)</sup> هرب وترانكا<sup>(٣)</sup> هج وما صبر تركوا طواوير العساكر قطع

(١) خمس طعش: خمسة عشر.

(٢) ميشو: قائد الحملة الفرنسية.

(٣) ترانكا: قائد الحملة الفرنسية.

## معركة بو زريق

يا الله يا للي عالم السر والخفا  
عرشك تعلق فوق كل عراش  
تعز ريعاً جاهدوا في بلادهم  
يا خالق الدنيا سهل وحراش  
من بعد ذا يا راكب هيزعيه  
منوة غريب الدار والطراش<sup>(١)</sup>  
تمد من عندي على الرحب والسعة  
تلفي الأزرق قبل ضب دغاش<sup>(٢)</sup>  
سلم على الباشا وخبر عطوفتو  
أحكي الصحيح ولا تكون غشاش  
كون جرى ببوزريق ما ينحكابو  
والراس من رزم المدافع طاش  
أول نهار لنا ولا هو علينا  
بسس الموازهممة الدفاش<sup>(٣)</sup>  
وفعال ريعي مثل فعل الزناتي  
ذياب ابن غانم مثلنا ما هاش<sup>(٤)</sup>  
صمدنا كما تصمد سباع الكواسر  
حاطوا بنا وعياً علي ينحاش<sup>(٥)</sup>  
محمود ابن كيوان وولاد عمو  
فزعوا من طليين عالرشاش  
بقيصما ريعنا كثار وفوارس  
لكن جمعهم عال حرب ما جاش  
أما سبب تأخيرهم يا رفاقة  
بنهار ريح وقالوا ما اسمعناش

(١) الهيزعيه: المركوب السريع.

(٢) ضب الدغاش: الظلام.

(٣) الدفاش: جرار البندقية.

(٤) هاش: قاتل.

(٥) عياً: أبى. - ينحاش: يقبض عليه.

دوح المعدل مثل كفي المخامر  
السمع الرمي من كان بالوشواش<sup>(١)</sup>  
النار ما تحرق سوى مان يدوسها  
ولا المعركة مثل الذي بفراش  
اللي حضر بالكون منا كفاهم  
ربعي ذياب وعادية بكباش  
من بعد ما فرنا عليهم خضوا  
والبزر من جمع العدا حشاش<sup>(٢)</sup>  
خمسين رمكه راحت بكرم واحد  
من ضرب موزر باللقا ما طاش<sup>(٣)</sup>  
واختم كلامي بحمد ربي وخالقي  
اللي نظمها بظنتي ما اخطاش

---

(١) دوح المعدل: صوت الرمي : إطلاق النار.

(٢) البزر: الرصاص .. حشاش: يحش ويحصد.

(٣) الرمكه: الفرس.